صندوق الأميرة

"حينما تخدع بخيال واقعي!"

+14

قصة قصيرة

ندى عبدالمعبود

تـنـويـه هـام :

إن كان لديك رباط حب مقدس، لا تقرأ هذه القصة..

ندى عبد المعبود

عند غروب الشمس و حلول الظلام و افتقاد الأحبة و الافتقار للمشاعر الرطبة، تأوهت القلوب من الخبر المفزع..

خبر وفاة أم ليلى، و ليلى فتاة صغيرة لا تدرك معنى الحياة بدون والدتها، لا ترى سوى الظلام، تخاف ليلا رغم وجود والدها، لكن فقدان الأم أشد الأشياء ألمًا، حينما يكون المهتم الوحيد بتفاصيل حياتك مختفي، ينقشع العالم ولا يتولد أي حلم سوى لحظة ثانية؛ كي ترتوي العين برؤيته.. و ليت الأحلام تتحقق!.

فتاة صغيرة تنام فقط؛ حتى تخدر واقعها المظلم..

والدها أيضا يتبع نفس منهجها رغم تفاوت الأجيال، ولكن يبدو النوم هو مخدر الأجيال حقًا.

ولا يجب أن تنام كي تخدر، فربما تكون عيناك مفتوحتان ولكنك مستغرق في تفاصيل حلمك.. مثل ليلى تمامًا.

كل ليلة تأتي بميراثها من أمها، تعتقده كنز حقيقي، هو عبارة عن صندوق موسيقى صغير مصنوع من نحاس عتيق، يحوي على أمير وأميرة يتراقصان سويا عند فتحها الصندوق، و من ثم تبدأ موسيقى هادئة بإذهال عقلها حتى تبحر في عالم لا يوجد به ألم ولا اشتياق ولا فقدان.

ولم يكن هذا الصندوق ميراثها الوحيد، فكان لديها الكثير من القصص المصورة، كانت تعتبرها أجمل قصص، لأن والدتها كانت تقص عليها كل يوم مغامرة مختلفة عن الأمير و الأميرة..

باتت تحلم بتفاصيل وواقع تتخيله في ذهنها، ذاك الأمير رقيق القلب يأخذها و يحميها و يهود قلبها الذي انفطر لغياب احساس الحب عنها.

كان الأمير بطل قصصها كلها، فهو دائما النجدة للأميرة، هي ليست أميرة ولا تريد أميرًا يملك سلطة، هي فقط تريد أميرًا خارقًا يحل كل مشاكلها و يحتضنها و ينتشلها من انغماسها في الألم،

كأن الألم وَحَلّ موحش يجذبها للأسفل؛ حتى يبتلعها بأسوأ طريقة ممكنة، فلابد من طوق النجاة.. أميرها المنتظر.

.....

كل يوم تحب أن تقرأ عنه لتنغمس في حبه و مواصفاته الجميلة، فتأخذ قصتها المفضلة التي تقرأها كل يوم تقريبا، فهذه القصة بالذات هي المخدر السحري..

فتبدأ بقراءة اسم القصة بعنوان: " لا أريد القمر، أريدكِ أنتِ "

تبدأ قصتها المصورة بمشهد في حفلة ملكية على صوت البيانو و أضواء الشموع، الأمير يظهر

فجأة، و تسلط نحوه الأضواء و على حشد الإناث الموجودين في الحفلة أيضا.

جميع الفتيات ينتبهن و يسحرن من جمال الأمير، فهذا الأمير تجتمع به صفات جميع الرجال كما يقولون..

ومن ثم يبدأ الجميع بالتوتر، فالأمير يقترب من الحشد لتكون اللحظة الحاسمة، من ستفوز بلقب الأميرة الجميلة؟.

الأمير يأخذ خطوات أسرع نحو الأميرات ليختار شريكته، فيبدو أنه حسم قراره؛ ليقع اختياره على أكثر الفتيات جمالا بينهن.

فيمد يده متعجبا من جمالها و يقول: أتسمحين لي بهذه الرقصة سيدتي.

فتمد يدها في تعجب ليبدأ الجميع بالتساؤل: من هي.. و لمَ هي.

و من ثم أخذ الأمير أميرته في وسط قاعة القصر الفيكتوري العتيق، الذي زين بأرقى التفاصيل، تتلألأ أرضيته اثر ضوء الشموع.

خفق قلبها عندما وجه نظره إليها، ليبدآ بالرقص، ومن ثم يبدأ الجميع بالرقص و تتوالى الرقصات واحدة تلو الأخرى.

فتترك ليلى القصة المصورة من بين يديها و تقفز من على سريرها مسرعة لتمسك صندوقها النحاسي و تفتحه؛ كي يصدر نفس صوت البيانو المعتاد، تشاهد عند فتحها للصندوق الأمير و الأميرة يبدآ بالرقص، فتتجول بصندوقها في غرفتها بخطوات الرقصة التي حرصت على تعلمها جيدا، لتبدأ في العيش بخيال مسكر للعقل و القلب أيضا!..

ومن ثم يغلق الصندوق نفسه تلقائيا، و تختفي الأصوات عن مسمعها، فتعلم أن الأمير و الأميرة أنهيا رقصتم الأولى، فتترك الصندوق على مكتبها، و تذهب مسرعة لسريرها لتكمل قصتها.

الأميرة ممسكة بيد الأمير و يميل فستانها معها من سرعة الرقصة، و تنظر لحشود النساء نظرة فخر وانتصار فاليوم فازت بأميرها المنقذ..

_ومن ثم تقول: يكفي لقد رقصنا رقصات عدة، أريد أن أجلس بالخارج فالجميع ينظر إلينا.

_الأمير بنظرات ساحرة: حسنا.

ومن ثم يتوقف عن الرقص ملبيًا طلب أميرته، و يمسك يدها بقوة كأنه يخشى أن يفقدها بين الناس، يسير معها أمام حشد النساء ليخرجا من باب القصر الخلفي، ما خلف هذا الباب بالتحديد يخص الأمير فقط، و لا يسمح لأحد بدخوله الآن سوى الأمير والأميرة فإنه مكان سري، يوجد به بستان زهور نادرة جدا تحت ضوء القمر.

_وتتساءل الأميرة: هذا هو مكانك السري الذي يتحدث عنه الناس!.

_ فأجاب الأمير بابتسامة: ولمَ يتحدث الناس عن مكاني الذي أخفيته، من أجلكِ.

_ الأميرة باندهاش: من أجلي ؟!

_الأمير يهز رأسه مجيبا: أجل، فلقد بحثت عنكِ كثيرًا و راقبتكِ أكثر، و أقنعت والدكِ أن يأتي بكِ إلى هنا، أنا لم اختاركِ اليوم أنا اخترتكِ منذ سنوات عدة، كنت حولكِ في كل مكان أراكِ تكبرين، و أراني أختاركِ من بينهن جميعًا في كل حلم حلمته.

احمر خدا الأميرة من الخجل؛ لأنها استنتجت أنه ذاك الشاب الوسيم الذي كان يراقبها، هي لم تكن تعلم أنه الأمير؛ كان يرتدي حلة مختلفة جدا عما يرتديه الآن، أحبته في صمت من اهتمامه بها، فاليوم ظهر أميرها مجهول الهوية كهدية في ليلة مقمرة وسط بستان زهور و كأنها جنة!..

_ قالت وهي تلتفت للقمر: القمر بدرا اليوم.

_ ثم أردفت الأميرة بإعجاب: أتعلم، أنا أريد أن أملك هذا البدر؛ كي أحافظ عليه من عتمة الأيام

_يرد الأمير بضحكة ساخرة: أتعلمين أنتِ، أن القمر أكبر من حجمكِ أضعافا!.

_ثم أردف الأمير بنظرة حب: وأنا لا أريد القمر، أريدكِ أنتِ.

احمر وجه الأميرة ولم تتفوه بكلمة من كثرة الخجل، فاليوم الأحلام تتحقق، فهي تتوج على عرش قلب من تحب، فكم كانت تحلم بمنقذ لها من عالم اليأس والظلام، لعالم النور و الفرح والأحلام..

ومن ثم أغلقت ليلى القصة بابتسامة معبرة عن رضاها بما قرأته فطالما قرأت هذه القصة وشعرت بنفس الشعور..

"فأحيانا ندمن أي شيء يبعدنا عن الواقع"

_سمعت ليلى صوت أبيها ينادي: ليلى.. ليلى العشاء جاهز.

أسرعت للمطبخ ملبية نداء والدها فطالما أحبته، لكن لم تجيد التعامل معه منذ وفاة والدتها، فهناك رابط حب مفقود في بيتها فتشت عليه مع الأيام، لكن الأيام تتالى ولا تعود.

_الأب: لمَ لا تأكلين، تريدين أن اعد لكِ شيئا آخر؟.

_ليلى بابتسامة زائفة: لا يا أبي أنا أحببته.

ثم اردف الأب بسؤال يعلم رده جيدا، فهي آخر ما تبقى له في هذا الظلام، أدرك أهمية زوجته فعلا بعد رحيلها، كان مستاءً يندم كل يوم؛ لأنه لم يحاول في أي موقف في السنوات السابقة أن يهتم بابنته، فأصبح بعد رحيل زوجته مجرد أب بلا صلة وبلا حب و لهفة، فهناك حاجز لا ينكسر بينه و بين ليلى مهما حاول..

_ ولكنه سيظل يسأل ليلى : لمَ تشردين كثيرا هذه الأيام، أهناك شيء يزعجكِ؟

و ليلى لم تجب على سؤاله؛ لأنها كعادتها تسمع ما تريد أن تسمعه و تتلاشى أي شيء يعكر صفوها مع قصتها و مع حلمها " الأمير المنقذ "

.....

تتالى الأيام و ليلى تكبر على تلك الأحلام، شاردة الذهن دوما تحاكي القصص والأفلام، لا تريد أن تسمع والدها ولا تريد أن تعيش واقعها المؤلم، ولكنها تفعل أي شيء جديد باستمرار، فهي أميرة ولابد أن تستعد لمقابلة الأمير بأي وقت، تلبس مثل الأميرة وتتخلق بطباعها حتى ولو لم يكن طبعها جميل فالأميرة دائما جميلة بجسدها و زينتها.

وبيوم من الأيام فقدت ليلى كل زملائها في الدراسة؛ بسبب معاملتها المتكبرة الآمرة الناهية، مع شجار مؤذي لجميع الموجودين و توبيخ من ليلى، و أذية زملائها لها ببعض الكلمات..

_" أنتِ لستِ جميلة، أنتِ في وهم الأميرة، أنتِ جننتِ يا ليلى، لن يحبكِ أحد لأنك لا تملكين أي علامة من علامات الجمال!"

ترددت الجمل على مسمع ليلى كثيرا، حتى رحلت.

كانت دموعها قريبة النزول، ولكن تعاليها منعها من البكاء، منعها من التعبير عما يعجه قلبها من ألم لم تتخلص منه بعد، ألم دام لسنوات حتى أصبح قلبها مثل الحديد الصدئ، تتفتت بسهولة مع كل ألم، و تعاني وحدها، وحدها فقط..

ذهبت لبيتها مسرعة، فهي لا تريد أن تعرف المزيد، لا تريد أن تشعر بأنها وهمت أنها جميلة وهي ليست كذلك!، لا تريد أن تعلم أكثر عن نفسها؛ خيل لها أنها وحش كبير لا يرى إلا نفسه.

هي تعلم ما تريد الآن، تريد أميرها، تريده أن يقول لها أنتِ على حق، أنا هنا، أنا جئت إليكِ لأنتشلكِ من عالم الضياع هذا.

تساءلت في نفسها مرارا، هل سأنتظر؟، ماذا أفعل؟، افتش عليه أنا؟، أين أجده، فأنا أريده الآن..

_قطع والدها تساءلها عندما تعجب بعودتها من جامعتها مبكرًا ليس كعادتها، يسألها: ليلى، لمَ جئتِ مبكرًا هل حدث شيء معك ابنتي؟.

_ ليلى أفاقت من شرودها سريعًا: ها، لا يا أبي، لقد ارهقت قليلا فأتيت؛ كي لا أتعب أكثر.

قالت هذا وهي تتذكر في نفسها حجم الأذى الذي تعرضت له بجامعتها من زملائها.

ذهب والدها وهو يعلم جيدا أن فتاته تواري حياتها عنه، ولا يستطع مع مرور كل السنوات أن يكسبها، ولا يزال يلوم نفسه على عدم اهتمامه من قبل، ازداد قلقه على ليلى مع الوقت فهي تعيش بعالم آخر محصن بشرودها.

"أحيانا نريد أن يعود الزمن؛ لنصلح كل موقف بتر علاقتنا بمن نحب"

بقيت ليلى على هذا الشرود حتى عزمت وحسمت أفكارها أنها لابد لها أن تقرأ قصة جديدة؛ كي تدرك ما الذي أخطأته، ولمَ لم يأت الأمير حتى الآن..

هذه المرة لم تمسك قصة بل رواية، عنوان الرواية: "معكِ دوما "

في مقهى بسيط جدا جلست الفتاة على الكرسي الخشبي التي اعتادت أن تجلس عليه يوميا، تلتفت يمينا و يسارا لم تجد النادل ولم تجد أحد..

تساءلت في نفسها بتوتر: لمَ لا يوجد أحد، المقهى ليس كعادته اليوم، هل حجز شخص المكان؟.

طرحت التساؤلات في نفسها فهمت لتخرج من المكان، فإذ بها تسمع أصوات البيانو تعلوا تدريجيا، تلفتت يمينا و يسارا كثيرا ولم يكن هناك أحد همت لتخرج قبل أن يشتد توترها أكثر.

تقترب بخطواتها من باب المقهى فيغلق وحده قبل أن تصل إليه، فترتعب الفتاة أكثر، فتسمع خطوات أقدام تقترب منها فتنظر خلفها؛ لترى بالون كبير يحمل صورتها، فيطير البالون ليظهر وجه من خلفه، حبيبها أو اميرها مثلما تقول.

يقترب منها و يركع على ركبتيه أمامها ممسكا خاتم لامع يدل على لحظة تتويج حبهما

_ يقول: أحبكِ أميرتي و أريدكِ معي دوما، بجواري تجودي علي بابتسامتكِ فأنسى همي و آلامي، تقبلي؟.. تقبلي بي أميرا لكِ؟.

كانت تحلم دائما به راكعا أمامها يطلب منها أن تكون جواره فتجعل وظيفتها الوحيدة هي.. الأمير المدلل.

ردت بلهفة ممزوجة بالفرح: أقبل، أقبل.

فلم تحتمل ليلى أكثر فغلقت الرواية بسرعة و هي مزعجة من كل شيء، تريد أن تبكي لأنها وحدها بدون حبيب، تريد أن تقول أنا ليس لدي من يهتم بي، أن يربت على كتفي ليذهب كل أوجاع الماضي العالقة بقلبي، ويشد أزري في كل خطوة قادمة.

كرهت كل الحفلات، كرهت الهراء، هذا هراء لأنه لم يأتِ بعد.

_فتصرخ و تبكي في آن واحد: هذا هراء، هذا كذب..

فيفزع الأب من صرخات ابنته المتتالية فيذهب لينتشلها من بكائها: ليلى، ما بكِ، ماذا أصابك.

كان ما يفزعه حقا هو عدم ردها عليه، و اكتفائها بالبكاء فهي ليس من عادتها البكاء، هي عادتها البكاء الداخلي و استنزاف الطاقة حتى غدت كائن غريب لا يعرف للسعادة معنى!.

" يبدو أننا ندمن المخدر حتى نعتاد عليه فيهدمنا "

حاول الأب أن ينتزع من ابنته أي كلمة ليفهم ما الذي حطمها لهذا الحد!، في هذا الوقت روابط القرابة لا تكفي، فالقلب يحتاج لقلب يكتفي به.

_بعد إلحاح و بكاء شديد أدمى قلب والدها قالت و هي في شدة البكاء: هراء.. كل هذا هراء.. كلام أمي واحلامها هراء.

_فتطرح القصص و الروايات أرضا معبرة عن غضبها المحزن: كانت تقول لي أنتِ الأميرة، كانت دوما تحكي لي قصص الهراء هذه، يبدو أن كلام زملائي صحيح أنا في وهم، أنا لست أنا!، فمن أنا؟

رد الوالد و هو يحاول أن يحتضن فتاته المنهارة: أنتِ ابنتي.

ردت ليلى و هي تبعد يد والدها عنها: ابنتك؟، أعيش معك بنفس البيت لكنك لا تتكلم، لا تبالي من أنا، لو كنت تبالي حقا كنت اهتممت لأمري، لكنك تطرح بعض الأسئلة علي كي تقنع نفسك أنك تقوم بدور الأب على أكمل وجه!.

و تكمل : أين هذا الحضن يوم موت أمي!، أنا لم أشعر يوما أنك أبي..

"ربما تكون المواجهة قاسية لكنها مريحة، ويترتب عليها حياة بشكل مختلف"

.....

تأثر الأب من كلمات ابنته الشبيهة بالقذائف اللامتناهية، ولكنه لن يلومها على ما قالته، فهو يعلم أنه أخطأ ويعلم أن زوجته أخطأت أيضا.

نبحث دوما عن ركن هادئ نذهب إليه ليغمرنا بالراحة، و في الأغلب تسرق الحياة منا كل الأركان الهادئة لتجعل قلبنا اشعث تائه، يريد أحدا بجواره لكنه لا يستطيع الاستغاثة، لأنه غير مباح لك أن تكون انسان!.

_لابد أن يرد والدها وإلا سيخسر ابنته، لابد أن يعترف أنه أخطأ، لابد من مبرر: أعلم أني أخطأت ولكن أنتِ تعلمين أنا لا أجيد التحدث، لا أجيد شيء، حاولت مرارا لكني لم أستطع، أنا لا أقدم لنفسي مبرر، أنتِ كبرتِ و تفهمين جيدا ما أقول، لو حللنا الأمور لوجدنا أن العالم كله مخطئ وأيضا لديه مبرر لخطئه، لن أقول لكِ شيئا سوى أنني أريد أن نبدأ من جديد..

هدأت ليلى قليلا و تفاجئت من اعتراف والدها بخطئه.

" فإنه لم يكن الصغير مخطئ وحده، لأن الكبير يخطئ أيضا، لكن اعترافه بالخطأ جريمة!"

_ردت ليلى على كلام والدها: بداية جديدة!، بعد كل هذه السنوات، بعد كل هذا العناء!.

_الأب : أجل بداية جديدة مختلفة بعد سن الخمسين.

تذكرت ليلى عمر والدها عندما سمعت منه الرد، هي لم تكن تبالي أن العمر يمر، يمر بدون أن تستمتع بوجود الرابط الأخير لها في الحياة، تفحصت وجهه وعلامات الكبر، أدركت فعلا أنها لم تره من قبل بهذا الحال، خشيت فجأة أن تخسره مثلما خسرت عمرها في عالم الوهم..

_وقالت: أنا أيضا أخطأت لأني لم أكن أبالي إلا بعالم يسرقني!.

_ثم أردفت بابتسامة صادقة: بداية جديدة.

" المواجهات تنزع غطاء الجروح ليظهر حجم الجرح على حقيقته، فيتم معالجته "

الحقيقة أن كل فرد مخطئ، لكن تعاملنا مع هذا الخطأ مختلف، والحقيقة الأكبر أن سبب الخطأ؛ هو أن الأشخاص لم يؤدوا مهمتهم بشكل سليم.

فوالدها لم يخلص في عمله كأب يهتم لابنته و يرعاها بحنانه..

و والدتها لم تخلص في عملها كأم، فهي كانت تسلي ابنتها بلعبة مؤقتة لتنام سريعا، ونسيت أن تغرس في طفلتها أن الخيال في الأغلب لا يتحقق.

وليلى أيضا لم تخلص في أداء عملها كابنة بارة بوالدها؛ كان همها فقط الوهم الذي توارثته من أمها، فأغلقت على نفسها الصندوق لتعيش في خيال الأميرة، صندوق الوهم الذي دام أكثر من عشرون سنة!.

لم تعمل على تنمية أخلاقها، حاولت أن تتشبه فقط بالأميرات فتتعالى على من حولها و تظل في وهم أنها مميزة عن الجميع، فينفض الجميع من حولها.

لا تترك نفسك داخل الصندوق وواجه الحياة بتفاصيلها؛ لأنك ستعيش مرة واحدة، فلمَ لا تحيا بأفضل شكل ممكن، لا تترك نفسك لجهلك بالقادم.

أترك عنائك وهمك ووهمك، ولا تدبر فإن ربك خير مدبر، ولا تأبه لحرمانك من نعمة معينة فربما لو أعطاك هذه النعمة لتغافلت عن أهم ما تملك.

_تخط ليلى كلمات في دفترها معبرة عن نهاية يوم عصيب:

" اليوم أدركت عملي، وحلمي، فإن الله يدبر أمري، فأحيانا نكون تائهين عن المسار الصحيح، فقط لأننا لم نواجه الواقع، فالأوهام المكتسبة تجعل القلب عليلا، لكن القرب من الله يصلح كل هم، و الهم كان نتيجة الجهل بكل ما هو قادم "

" ربما تحظى بعقبات متتالية، لتدرك أنك في المسار الخاطئ "

ثم خطت كلمات بالرسم العثماني:

{يدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} (سورة السجدة)

تمت بفضل الله

ندى عبد المعبود

لمتابعة الكاتب:

_الفيسبوك الرسمي:
https://www.facebook.com/nada.abdelmaebod

_تويتر:
https://twitter.com/NadaMoh16944180?s=09

_انستجرام:
https://www.instagram.com/nada.abdelmaebod/

_واتباد:
https://www.wattpad.com/user/NadaAbdElmaebod

_ للتواصل مع الكاتب عن طريق الايميل:
nm202020180213@gmail.com

"ربما تحظى بعقبات متتالية لتدرك أنك فى المسار الخاطئ"
ندى عبدالعبور